إشباع الحاجات العقلية

الفصل الأول

إشباع حاجة الطفل إلي

البحث وحبّ الاستطلاع

۞ البحث وحب الاستطلاع.. دافع غريزي:

الحاجة إلي البحث وحب الاستطلاع هي حاجة تجعل الفرد يستطلع الأشياء،أو يتفحص المواقف،فيختبرها أو يسأل عنها،وهي حاجة مشتركة بين الإنسان والحيوان.فقد دلت التجارب علي أن الحيوانات حين تُوضَع في أماكن جديدة تأخذ في استطلاع أنحائها،والبحث في أرجائها،حتى إنْ لم تكن جائعةٍ أو ظامئةٍ،والصيادون يستغلون هذه الحاجة أو هذا الدافع في صيد الحيوانات،إذ يحضرون شيئاً غريباً يدعو الحيوان إلي الاقتراب منه لاستطلاعه،فيسهل عليهم اقتناصه.

هذا وقد دلَّت التجارب التي أُجريت علي الحيوانات والأطفال علي أن حُبّ الاستطلاع حاجة أو دافع غريزي في الطبيعة البيولوجية للكائن الحي،تدفعه إلي فحص البيئة،والتعرُّف عليها لمعرفة الأشياء التي يُحتمل أنْ تكون مصدراً للخطر أو للألم التي يُحتمل أن تشبع حاجاته قبل أن تنشط،فتُسبِّب له نوعاً من الارتياح.

۞ كيف نلاحظ حاجة الطفل إلي البحث وحب الاستطلاع ؟

كثيراً ما نري الطفل يتطلَّع إلي الأشياء بعينيه ويتتبعها،والطفل يحاول بهذا السلوك أن يتعرَّف علي كل جديد في بيئته،ويحاول أنْ يختبره.كمَّا أن لعب الطفل المبكر وتناوله لكل ما يقع تحت بصره أو يديه،وبحثه هنا وهناك،وتنقيبه عمَّا حوله،ليس في الواقع إلاَّ إشباعاً لحاجته إلي حب الاستطلاع أو الفضول،ورغبته في اكتشاف المعاني والدلالات لمَّا حوله،واكتسابه كذلك للمعارف أو المهارات الأساسية اللاَّزمة لحياته.ويري"وليام مكدوجل"أن الذي يجعل الطفل يعبث فيمَّا حوله من أشياء هو حب الاستطلاع.كمَّا أن الطفل يكتسب معلوماته،وتنمو معارفه عن طريق خبراته التي يُمارسها بنفسه،سواء عن طريق استعمال عضلاته المختلفة،أو عن طريق حواسه المُتعدِّدة التي تُعتبر أبواب المعرفة بالنسبة للطفل.

ويتجلَّي هذا الميل إلي الاستطلاع أو الفضول في تلك الأسئلة التي يوجهها الطفل إلي والديه أو مُعلِّميه أو مَنْ يحيطون به،عن الأشياء..أسمائها،وفوائدها،أو عن الحوادث.. أسبابها ومضارها.ومن هذه الأسئلة ما يدور حول الأمور الجنسية،أو حول أمور غيبية تُسبِّب لوالديه كثيراً من الحرج والحيرة.ثم تظهر لدي الطفل هذه الحاجة بعد ذلك في ميله إلي القراءة أو إلي الرحلات أو المغامرات،ويستمر نمو دافع الاستطلاع عند الطفل إلاَّ إذا صادف من البيئة ـ آباء أو مربين ـ ما يكبحه أو يُحبطه،فإن لقي منهم مساندة وتشجيعاً،ومن الظروف ما يُساعده علي إعلانه لهذه الحاجة؛لأصبح هذا هو الأساس نحو التجريب والابتكار والإبداع.

وهكذا نجد أن الحاجة إلي المعرفة من الحاجات المهمة لدي الطفل،وعلي الأخص عند محاولته التعرُّف علي البيئة،بحيث يمكن عن طريق ذلك تنمية ما لدي الطفل من إمكانات وقدرات،ولذلك فإن إشباع هذه الحاجة من العوامل التي يجب أن يهتم بها الآباء والمربون في تربية أبنائهم.

هذا..وتستطيع التربية أن تستغل الحاجة إلي البحث والاستطلاع عند الطفل من أجل نموه العقلي والمعرفي،وأن توجه رغبته في استكشاف ألوان مُتعدِّدة من الثقافة،وأن تُشجعه علي الاستفسار،وأن تتركه يسمع ،ويري، ويتذوق، ويشم، ويحس، ويفك، ويُركِّب..إلخ.

◉ مراحل تطوُّر الحاجة إلي البحث وحب الاستطلاع عند الأطفال:

♦أولاً: مرحلة الرضاعة(من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية):

تنمو حاجة الطفل إلي الاستطلاع أو الفضول مع بداية الشهر السابع تقريباً،فهو يستطلع بعينيه،ويُمعن النظر في الأشياء،ثم يحاول القبض عليها ووضعها في فمه،وهو يتتبع الأشياء التي تتحرَّك من حوله بشغفٍ، كل هذه أنواع بسيطة من دافع الاستطلاع لدي الطفل،حتى إذا ما وصل لسِن الثانية واستطاع المشي واتسع عالمه امتدت يداه إلي كل ما يستطيع تناوله.فهو يعبث بأي شئ وقد يُدمِّره،أو يُمزق بعض الأوراق المهمة،أو يسكب الطعام علي الأرض،وقد يفك ما يعثر عليه من أدوات ليري مم تتكوَّن؟،وقد يشد ذيل القطة ليري ماذا تصنع؟،وقد يُحطِّم المرآة ليري ما بداخلها!!،وقد يكسر إحدى لُعبه بدافع الاستطلاع لا بدافع التدمير كمَّا يُظن،وكل هذه الأمور تُثير غضب الوالدين وتدفعهما إلي مُعاقبة الطفل إمَّا بالضرب، أو اللَّوم، أو التوبيخ.وتكون النتيجة أن يكف الطفل عن هذه الأفعال،ولكن لفترةٍ قصيرةٍ بعدها ينسي كل شئ،فيعود إلي العبث من جديد.

♦ثانيا: مرحلة الطفولة المبكرة(من عامين إلي ستة أعوام):

في هذه المرحلة يريد أن يكتشف الطفل كل ما يقع في متناول يده،أو يقع تحت سمعه وبصره أيضاً،وهو لا يستمر في وضع الأشياء بفمه،ولكنه يلمسها ويفحصها أيضاً،ويسأل عنها مرَّات عديدة متكررة،وهو يحتاج إلي بعض الوقت للنظر إلي الأشياء من حوله والتي يشعر باهتمام نحوها،سواء أكانت في شكل صور أو في الحياة الواقعية.وغالباً ما يتعجله الكبار،والأفضل عدم لفت نظره إلي الأشياء باستمرار إذ أن هذا غالباً ما يُشتت ذهنه،ويفضل إعطاؤه فرصة لرؤيتها بنفسه حتى يمكنه أن ينظر ويسأل أسئلته الخاصّة.

وعندما يصل الطفل إلي المرحلة التي يسأل فيها أسئلة، مثل:"ما هذا؟"،"كيف يعمل هذا القطار؟"،"لماذا لا تسير العربة؟"..إلخ،فإن الكبار قد يجدون أنفسهم مشغولين بأشياء أُخري، فلا يعيرون أسئلته التفاتاً،وإنْ كنا نُفضِّل أنْ يُشجع الآباء والمربون حب الاستطلاع لدي أطفالهم،وأنْ يحفزوهم علي حب البحث والتجريب.مع العلم بأن الأطفال يتعلَّمون كثيراً في هذه السِن عن طريق الخبرات البسيطة،فتسلُّق قارب صغير في عرض البحر،أو الذهاب إلي المزرعة لرؤية الحيوانات والطيور،أو زيارة أحد المصانع وهو يعمل أو ينتج،كل هذه ثروة من الخبرات يستطيع الطفل الصغير عن طريقها التعرُّف علي البيئة المُحيطة به.

وعموماً..نستطيع القول بأن كلَّما كان الآباء والمربون علي استعداد للإجابة علي أسئلة أطفالهم وتهيئة الفرص لهم للكشف عن الأشياء بأنفسهم، فإنَّهم سوف يدهشون لمدي قدرة أبنائهم علي تعلُّم كثير من الخبرات التي قد تعينهم في مستقبل حياتهم.

♦ثالثاً: مرحلة الطفولة الوسطي(من ستة إلي تسعة أعوام):

تتميَّز هذه المرحلة بنمو الجانب المعرفي للطفل،لذا..فهو بحاجةٍ إلي مزيد من الفهم والإدراك والتحصيل،فهو يسعي لاستكشاف كل مجهول،وخاصَّة في البيئة المُحيطة به.والطفل في هذه المرحلة يصبح قادراً علي اتخاذ الأساليب السلوكية السليمة التي لا تلحق به الضرر حال إقدامه علي الاستكشاف،كمَّا يبحث وراء كل جديد لمعرفته.وإشباع هذه الحاجة يزيد من رصيد الخبرات الحياتية لدي الطفل،وهي خبرات بدورها تُسهم في مدي نموه العقلي،فضلاً عن تزويده بالمعارف الجديدة،ويصل الطفل عن طريق إشباع حاجته إلي المعرفة إلي مستوي من حُسن التصرُّف إزاء مواقف حياته الجديدة،وهو ما يكسبه ثقته بقدراته العقلية والفكرية،لأنَّه استطاع أنْ يستخدمها استخداماً يؤدي إلي النجاح،فضلاً عن أنَّه كلَّما زاد مُعدل المعرفة لدي الطفل أدي ذلك إلي نمو إدراكه الحسي الذي يسهم في نضج قدراته العقلية؛لذلك وجب علي الوالدين والمربين ضرورة الاهتمام بإشباع حاجة الطفل إلي الاستطلاع والمعرفة والتحصيل،عن طريق إجابة أسئلته التي يطرحها عليهم إجابات سليمة ومُقنعة،وإتاحة الفرص له للاشتراك في الرحلات العلمية،وتنمية ميوله إلي القراءة والاطلاع،وإكسابه مهارات عقلية حسابية كالجمع والطرح والضرب والقسمة..إلخ،فضلاً عن الاهتمام البالغ باللغة ورموزها،بحيث يستطيع أن يتقن الطفل دلالة الرموز ومعاني الكلمات.

◉ وسائل إشباع الحاجة إلي البحث وحب الاستطلاع:

♦أولاً: خلق الجو الملائم لإشباع الحاجة إلي البحث وحب الاستطلاع:

يتحتم علينا ـ آباءً ومربين ـ أن نخلق لأبنائنا الجو المناسب لإشباع حاجتهم إلي البحث وحب الاستطلاع، وأن نُحقِّق رغبتهم في استكشاف كل ما يُحيط بهم آخذين بعين الاعتبار، ما يلي:

1- تأمين شروط السلامة من حيث إبعاد جميع مصادر الخطر عن طريق أطفالنا،مثل:منابع الحرارة، والكهرباء،والنار،وأعواد الثقاب(الكبريت)،والأدوية والعقاقير،والمبيدات الحشرية ..إلخ، وإبعادهم كذلك عن أماكن السقوط،والحيوانات المؤذية أو ناقلة العدوى والأمراض.

2- إعطاء الطفل ما يشغله بالبحث،والتجريب،والاستكشاف؛لأن الضجر يولِّد السلوك المشاغب الذي يمكننا تجنُّبه بخلق الجو المناسب للطفل أينمَّا كان،وذلك عن طريق توفير الألعاب المختلفة والمتنوعة، مثل:الدُمي،والعربات،والقطارات،والخروج من المنزل لمدة ساعة يومياً علي الأقل للتنزه وترك الطفل يقفز ويركض ويعدو، كمَّا يجب مشاركته في بعض الألعاب الرياضية التي يستمتع بها كثيراً.

♦ثانياً: تشجيع مبدأ النشاط الذاتي:

مبدأ النشاط الذاتي من المبادئ المهمة التي أكَّدها علم النفس أساساً لعملية التعلُّم،فلكي تتم هذه العملية علي أحسن صورة لابد من أنْ يبذل المتعلِّم نشاطاً من جانبه،هذا النشاط هو ما

يُطلق عليه النشاط الذاتي،أي النشاط الذي يصدر عن المتعلِّم نفسه،وبهذا يمكن أن يُشبع نهمه إلي المعرفة.

وتُساهم كلّ من الأسرة والمدرسة في تدعيم هذا المبدأ من خلال تعليم الأطفال اكتساب المعارف المختلفة،والخبرات المتباينة،ونؤكِّد أن استخدام أسلوب التلقين في المنزل أو المدرسة بوصفه الطريق الأساسي الوحيد الذي يطل منه الطفل علي عالم المعرفة وإهمال أسلوب النشاط الذاتي يترتب عليه تخريج شخصيات هامشية مُغلقة،لا تستطيع استقبال شتي أنواع المعرفة،أو استيعابها،أو هضمها.

♦ثالثاً: تنويع المثيرات:

توافر مثيرات متنوعة أمام الطفل يُتيح له - بلا شك - فرصاً مُتعدّدة لإظهار الدهشة، والتعجُّب،والتساؤل، والملاحظة،والبحث،والاختبار،والفحص،والتجريب،والتفكير،وهذا كلّه يتم عن طريق التالي:

1. توجيه أنشطة الطفل إلي المواد أو الأدوات التي يمكنه أنْ يستخدمها، وهي: اللُّعب، والدُمى،والكتب المصوَّرة،والخرائط المجسمة،والكرات الأرضية،والجداول الرياضية، وأدوات المهن المختلفة كأدوات الطبيب،وأدوات النجار مثلاً،مع توفير الفرص أمام الأطفال لممارسة اللَّعب الحر،لكي يكتسبوا ثقافة مجتمعهم وخبرات بيئتهم المتنوِّعة.

2. توجيه الطفل إلي المُثيرات الطبيعية والتي نعتبرها كتاب الحياة المفتوح أمام الأطفال،فعن طريق هذه المُثيرات الطبيعية يمكننا أن نلفت نظر أبنائنا إلي ظاهرة اختلاف الليل والنهار،وتعاقب الفصول الأربعة،وتنوع الطيور والحيوانات..إلخ.

3. بيئة الطفل المحلية بمختلف مؤسساتها، وهيئاتها،يمكن اعتبارها مجالاً خصباً للمُثيرات والخبرات اللاَّزمة لنمو الطفل وإشباع حاجته إلي البحث وحب الاستطلاع والمعرفة:فدور العبادة من مساجد وكنائس،والملاعب والمنشآت الرياضية،والنوادي، والسينما، والمسرح، وقصور الثقافة،ومكاتب البريد،والبنوك،والمستشفيات، الوحدات الصحية،ومراكز الشرطة، والمصانع، والمزارع والحقول،والحدائق،والإذاعة،والتلفزيون،والمجلات والصحف،كل هذا يمكن أن تكون مجالات لا حصر لها،تُساعد علي نموه وارتقائه.

وبقدر ما نُقدِّم للطفل من مُثيرات،بقدر ما نُساهم في تكوين شخصيته وثقافته،لذلك نؤكِّد علي أن الطفل بحاجة إلي هذه المُثيرات حتى يُشبع حاجته إلي البحث وحب الاستطلاع.ولا شك فإن حرمان الطفل من هذه المُثيرات يُعد حرماناً من كافة العوامل التي تعمل علي تثقيفه ونموه،وحرمانه أيضاً من استثارة حواسه المختلفة وكَفِّها عن أداء وظائفها،وهذا ما نُحذِّر منه.

هذا..وقد أثبتت العديد من الدراسات النفسية والتربوية أن بيئة الطفل الغنية بالمثيرات المتنوِّعة تُساعد علي نموه نمواً متكاملاً، وتُسهم في تدعيم شخصيته وإثراء ثقافته.

♦رابعاً: الانطلاق نحو آفاق البيئة الرحبة:

نستطيع أن نوجِّه حب الأطفال والناشئة إلي البحث وحب الاستطلاع والمعرفة، من خلال إكسابهم ثقافة مجتمعهم الذي يعيشون بكنفه، وذلك بالانطلاق نحو آفاق البيئة الرحبة التي تتمثَّل في تلك الأنشطة المُقترحة:

1. اصطحاب الطفل في نزهات،أو جولات،أو رحلات بحيث يتمكَّن من الجري،والقفز، والتسلُّق في حرية وحيوية ونشاط،بعيداً عن القيود الحياتية الصارمة،علي أن يكون الهدف من هذه الأنشطة:زيادة حصيلة الطفل من الخبرات الجديدة،وتزويده بالمفاهيم العلمية الصحيحة.كمَّا يمكن أن تكون هذه الأنشطة أداة لتعويده العادات الصحية أو الاجتماعية السليمة كعدم قطف الزهور مثلاً.كمَّا يمكن اصطحاب الطفل إلي أحد الحقول القريبة أو المزارع لرؤية أعمال الفلاح المتنوعة كتمهيده للتربة،وبَذْر البذور فيها،ثم ريها بالماء..إلخ،ولا مانع أيضاً من اصطحابه لحظائر الحيوانات أو الطيور لرؤية حياتها علي الطبيعة،أو اصطحابه مثلاً إلي خلايا تربية النحل،أو عنابر إنتاج الكتاكيت..وغيرها.

2. اصطحاب الطفل إلي الشواطئ،حيث يلهو ويمرح علي الرمال،ويُشاهد الرحلات المختلفة لصيد الأسماك التي يقوم بها الصيادون،والتعرُّف علي الحياة في البيئة الساحلية كأهم الصناعات القائمة بها،وطبيعة المساكن التي يعيش فيها أهل السواحل،وأنواع الثياب التي يرتدونها،وعاداتهم وتقاليدهم..إلخ،كل هذا يُساعد الطفل علي اكتساب خبرات جديدة وثرية.

3. اصطحاب الطفل في زيارة لإحدى حدائق الحيوان،حيث يتعلَّم معارف جديدة،منها: التعرُّف علي أنواع الطيور والحيوانات،وأحجامها،وألوانها،والبيئات التي كانت تعيش فيها، وماذا تأكل من طعام..إلخ.

4. يمكن عن طريق الرحلات إلي مناطق الآثار التاريخية،والمتاحف أن يتعلَّم الطفل كثيراً من الخبرات والمعارف عن تاريخ بلاده وحضارتها وما لها من امتيازات،كمَّا يتعلَّم تقديره للقيم الفنية والجمالية،وتعويده المحافظة علي آثار بلاده وحمايتها من أي عبث أو تخريب،فينمو الطفل عاشقاً لتراث بلاده.

5. يمكن للطفل أن يندمج اندماجاً قوياً من خلال مشاركته في المناسبات الاجتماعية،لتعريفه بنظم العلاقات التي تربط بين الناس من مراسم أو طقوس،كحضور الحفلات التي تُقام بمناسبة الزواج أو عقد القران،وأعياد الميلاد،وسبوع المولود،ومن خلال مشاركته أيضاً في الأعياد الوطنية والقومية كذكري ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين،أو انتصار السادس من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين.علاوة علي مشاركته في الاحتفالات الدينية المختلفة،وما يُصاحب هذه الأعياد والمناسبات من مشاعر،وكيفية الاحتفال بها،وماذا يرتدي الناس،أو ماذا يأكلون؟،والهدف من ذلك هو توسيع بيئة الطفل وإثراء معارفه خلال مروره بالأحداث أو المناسبات الدينية والاجتماعية والقومية والتاريخية،ممَّا يُساعد علي نضجه وانفتاحه علي ثقافة مجتمعه وتشرُّبها.

♦خامساً: استخدام خامات البيئة:

يمكن استخدام الكثير من خامات البيئة في أوجه نشاط الطفل المختلفة بما يُثري خبرته وثقافته،وإشباع حاجته إلي الاستطلاع والمعرفة،فيمكن استخدام مخلفات البيئة كالفوارغ أو بقايا الجلود أو ريش الطيور وغيرها،هذه الخامات يمكن أن يستغلها الطفل ويفيد منها؛ فيشبع حاجته إلي البحث وحب الاستطلاع .

كمًّا يلزم من جانبنا أنْ نُقدِّم للطفل خامات البيئة المُتعدِّدة والمتنوعة لاستخدامها بما يرقي بخبراته ومهاراته،ونذكر منها،علي سبيل المثال:الصلصال،والورق المقوي،والألوان المائية أو الفلوماستر أو الأقلام،والحبال،وحبات الخرز الملوَّن،والخيط، والقطن،والريش، والقواقع،والمسامير،وعلب الكارتون الفارغة مختلفة الأشكال والأحجام والألوان،والمقص، والصمغ،والأقمشة،وعلب البلاستيك الفارغة،والطلاء، والصابون،والكتب،والقصص المصوَّرة، والعرائس المتحركة،والدُمى مختلفة الأحجام والأشكال والألوان التي تُمثِّل الأجناس المختلفة،وملابس العرائس،وأثاثات منازل صغيرة،وصندوق يحتوي علي أدوات مهن مختلفة،مثل:أدوات النجار(منشار،فأرة،قَدُّوم،مسامير)ألعاب تمثل محلات تجارية مثل:محل بائع الفاكهة(فواكه وخضروات من البلاستيك الملوَّن)،ومجسمات خشبية،وأدوات قياس،مثل:المتر،والمسطرة،وحبوب للزرع والإنبات،وأواني لإنبات الحبوب..وغيرها الكثير.ءاً من حياة المجتمع

هذه الأدوات والألعاب المُصنَّعة من خامات البيئة والتي تُمثل جزءاً من حياة المجتمع تُساعد الطفل علي اللَّعب بها،أو تصنيعها لسد احتياجاته من اللُّعب بدلاً من شرائها،كمًّا أنَّها تُساعده علي نمو عضلاته ومهاراته اليدوية من ناحية أخري،وتُساعد علي التنفيس عن مشاعره،ومُعايشة حياة المجتمع الذي يحيا فيه،كمًّا تُساعده علي المُشاركة في الخبرات والتعبير عن نفسه وتقمُّصه الأدوار الاجتماعية المختلفة من خلال اللَّعب، كل ذلك يُثري ثقافة الطفل ويُشبع حاجته لحب الاستطلاع والفضول،ويشحذ طاقاته الذهنية.

♦سادساً: تشجيع الهوايات وتنميتها:

نستطيع إشباع حاجة الطفل إلي البحث وحب الاستطلاع عن طريق تشجيع هواياته المختلفة،فيمكننا تشجيعه علي جمع الطوابع المختلفة سواء من داخل بلده أو من بلاد أُخري،مع تفسير للرسم موضوع الطابع،أو الحدث المُصاحب لصدوره.كمًّا يمكننا أنْ نُشجعه علي جمع العملات أو النقود من نوعيات مختلفة ومن أقطار مُتعدِّدة،ويمكن من خلال ذلك أنْ يعرف الطفل نبذة عن هذا البلد الذي يجمع نقوده،كذلك هواية جمع الصور النادرة وما تدل عيه،وأيضاً جمع الفراشات الملوَّنة وكيفية تحنيطها.

كمًّا يمكننا أنْ ننمي هوايات الطفل الأخرى كالتصوير،والرسم،والزخرفة،والأشغال اليدوية،والعزف علي الآلات الموسيقية..إلخ.

هذا..ويمكن للآباء والمربين أنْ يناقشوا الطفل في هواياته ويقومون بتشجيعه وتعليمه، وأن يستمتعوا بمَّا يُقدِّمه من أعمالٍ أو أنشطةٍ،وبذلك ننمي في أطفالنا حب الجمال والتذوق الفني وبث الثقة في أنفسهم ،ونشبع في نفس الوقت حاجتهم إلي حب الاستطلاع أو الفضول.

♦سابعا: الإجابة علي أسئلة الطفل بتفهم ووضوح:

تعتبر الأسئلة التي يسألها الطفل والإجابة عليها من وسائل اكتساب المعرفة لديه،والإجابة عن أسئلة الطفل إجابة تتناسب مع عُمْره ومستوي إدراكه من العوامل المهمة التي تساعده علي نموه.فالأسئلة هي الطريق الذي يحاول الطفل أنْ ينفذ من خلالها إلي فهم العالم المُحيط به تمهيداً للتعامُل معه.فعندما يُثير اهتمام الطفل موضوعٌ ما،فإنَّه يسأل

عنه،وهذا ما يُسميه عَالِم النفس"أنجلو بثري"بـ"الجوع العقلي"،ويري أنَّه لابد من إشباع هذا الجوع حتى يتمكَّن الطفل من الحصول علي إجابات واضحة وكافية لأسئلته.

ويبدأ الطفل في إلقاء أسئلته الدالة علي تعطشه للمعرفة وحب الاستطلاع،عندما يصل إلي مرحلة الطفولة المبكرة.وحب الاستطلاع هذا يزيد من مهارات الطفل وخبراته،ولذلك فكلما كانت الإجابات التي يتلقاها الطفل من الآباء والمربين تتفق مع الثوابت أو المبادئ العلمية في التربية،كلَّما ساعد ذلك علي نمو الطفل نمواً نفسياً سوياً،ممَّا يؤدي إلي توافقه أو تكيُّفه أمع البيئة التي يعيش بكنفها،بشكلٍ معقول ومقبول.

ونحذر الآباء والأمهات من مغبة عدم الاكتراث بأسئلة الطفل،أو التهرُّب منها،أو الرد عليها ردوداً تنطوي علي الإبهام أو الغموض وعدم المصداقية،علي اعتبار أن هذه التصرُّفات تنم عن إجحاف وظلم كبير لحقوق الطفل؛لأن الطفل يجد نفسه في حياةٍ متسعة لا يعرف عنها شيئاً؛لذلك فهو يُريد أنْ يعرف.نعم..الطفل يعي ذاته ويُدركها،فهو يتكلم ويمشي،ولكنه لا يفهم للحياة معني،إنَّه يري ضوء الشمس متوهجاً عند كل صباح،ولكن بحلول المساء يختفي الضوء ليحل الظلام،فلا يعرف أين اختفي الضوء الوهاج،لذلك فهو يسأل.

الفصل الثانى

إشباع حاجة الطفل إلي تنمية المهارات العقلية

تستطيع الأم أو المربية أن تستغل مشكلات الطفل اليومية في تعلُّم الطفل وتزويده بخبرات مُتعدِّدة تُساعده علي نموه العقلي وتنمية مهاراته العقلية في مجال:الإدراك،والتذكُّر،والتفكير.وذلك بترك الطفل يحل ما يقع فيه من مشكلات،وأن يستخدم النتائج التي وصل إليها بنفسه في مواقف أخري مماثلة،وهذا ما يتضح فيما سنعرضه علي الصفحات التالية:

♦أولاً: الإدراك:Conception

الإدراك هو وسيلة الكائن الحي بالبيئة المُحيطة به،والتعرُّف علي حقائقها وهو عملية طبيعية يقوم بها الكائن عن طريق ما هو مزود به من إمكانات فطرية.فالطفل يولد وهو مزود بخلايا عصبية مختلفة مرتبطة بحواسه تقوم باستقبال مثيرات العالم الخارجي بمُجرَّد خروج الطفل إلي العالم وتستمر هذه العملية مدي الحياة ما دام الفرد يعيش ويتحرَّك في البيئة المُحيطة به فتنقل الخلايا الخاصَّة عند الإنسان صوراً وإحساسات مختلفة هي المادة الخام للنشاط العقلي البشري،ولهذا يُقال:إن الحواس هي أبواب المعرفة الأولي.

وإذا كان من المعروف أن الخلايا الحاسة تتركَّز في حواس خمس،فإنَّه قد ثبت أن الخلايا الحاسة أكثر انتشاراً من هذا،فيمكن علي سبيل المثال أن نذكر بعض الإحساسات التي تنقل إلي الفرد بواسطة الخلايا الحسية،من ذلك:

1- إحساسات ضوئية،وتُنقل عن طريق البصر.
2- إحساسات صوتية،وتُنقل عن طريق السمع.
3- إحساسات توازنية،وتُنقل عن طريق الأذن الوسطي وما بها من وسائل يتأثَّر بتحريك الطفل.
4- إحساسات كيميائية،وتُنقل عن طريق أطراف الخلايا العصبية المنتشرة في الفم والأنف.
5- إحساسات اللمس والضغط،وتُنقل عن طريق أطراف الخلايا العصبية المنتشرة في الجلد.
6- إحساسات حرارية،وتُنقل عن طريق سطح الجلد.
7- إحساسات عضلية،وتُنقل عن طريق أطراف الأعصاب في العضلات.

فالإدراك إذاً عملية نفسية يُفسر بها العقل الإحساسات التي ترد إليه من تنبيهات أجهزة الحس،إذ تقتصر عملية الإحساس علي مُجرَّد تلقي عضو الحس للتنبيه،لكن الإحساس كانطباع بالصورة الحسية يلزمه بعد ذلك التفسير وإعطاء معني للمحسوسات كي تصبح مدركات،أي تجاوز الآليات الفسيولوجية(التي هي أداء أجهزة الحس لوظائفها)إلي عملية الإدراك النفسية التي تحوِّل التنبيه لفكرة أو تصور ثم إلي مفهوم Concept،يدرك عقلياً.

لذلك..يجب علي الأم أن تُتيح للطفل الحرية ليلعب،ويلمس، ويمسك،ويتذوق، ويقذف، ويختبر كل ما يقع تحت يديه من الأشياء طالما لن يُصاب بأذى في اختباراته وتجاربه لمثيرات البيئة،وأن تضع في مُحيط الطفل كل ما يُساعد علي تنمية إدراكه من خلال مثيرات البيئة البصرية،والسمعية،واللمسية،والشمية،والتذوقية..

◉ تنمية إدراك الطفل:

أولاً: بالنسبة لحاسة البصر:

يمكن أن تطلب الأم من الطفل أن يُميِّز بين الأشكال والأحجام والألوان الخاصَّة بالأشياء المختلفة، ومواد صنعها حتى يُدرك خواصها،ويستطيع بذلك أن يُميِّز بينها ويعرف الفروق

بين الأشياء،ويكوّن لكل شئ صورة ذهنية مُدركَّة يستطيع أن يستدعيها عندما يري هذا الشئ فيما بعد.

ثانياً: بالنسبة لحاسة السمع:

تستطيع الأم أن تجعل الطفل يُميِّز بين الأصوات المختلفة فيكون لكل صوت معني خاص به،فيعرف صوت إغلاق الباب والشباك،ويُميِّز بين صوت البيانو والأكسليفون، ويُميِّز بين الصوت الجميل والصوت القبيح،ويُميِّز بين أصوات الأفراد المختلفين،وبين أصوات الحيوانات والطيور المختلفة بحيث يكوِّن صورة ذهنية مرتبطة بكل شئ من ذلك.

ثالثاً: بالنسبة لحاسة اللمس:

وعن طريق هذه الحاسة يستطيع أن يكون صورة ذهنية لمَّا يلمسه من أشياء فيعرف أن بعضها له ملمس ناعم أو خشن.ويُفرِّق بين الأشياء المستديرة أو المستطيلة حتى بدون أن ينظر إليها.وتستطيع الأمم أن تساعد الطفل في تكوين صور ذهنية للأشياء من خلال إثارة الطفل للتميز بين الأشياء،كأن تصنع للطفل مثلاً مجموعة من الحبوب في أكياس مغلقة وتطلب منه أن يلمس كل كيس ويحاول أن يتعرَّف علي ما بداخله،فهذا،فول،وهذا أرز ،وهذه مكرونة..إلخ.وهو يستطيع أن يُسمي كل شئ بالكيس باسمه بعدما تكوَّنت لديه صورة عقلية تُمكنه من إدراك ما بداخل الكيس.

رابعاً: بالنسبة لحاسة الشم:

وعن طريق هذه الحاسة يستطيع الطفل أن يُميِّز بين المأكولات فيعرفها من رائحتها دون أن يراها،فهذه كعكة وضعتها الأم في فرن البوتاجاز،وهذه رائحة شواء علي النار..إلخ.ويُميِّز الروائح الذكية من الروائح الكريهة،وحتى الروائح الذكية يستطيع أن التمييز بينها،فهذه رائحة فل،وتلك رائحة ياسمين،وهذه رائحة قرنفل..إلخ،ويعرف أن هذه رائحة خل،وهذه رائحة حامض،وهذه رائحة ثوم أو بصل..إلخ.وذلك التمييز للروائح المختلفة وإطلاق اسم لكل رائحة إنمَّا لأن هذه الرائحة قد تكون لها معني عقلي مُدرك يستطيع أن يتذكَّره عندما يشم الرائحة.

خامساً: بالنسبة لحاسة التذوق:

حيث يستطيع الطفل التمييز بين المالح،والعذب،والحامض،وحلو المذاق..إلخ.

معني ذلك..أن الإدراك الحاسي يتكوَّن عند الطفل في البداية عن حواسه ثم تنتقل هذه الإحساسات إلي مراكز الإدراك في المخ الذي يُميز هذه الأشياء ويُعطيها معني.ومن هنا يجب علي الآباء والأمهات والمربين أيضاً أن يتركوا الطفل يُجرّب كل شئ بنفسه في حرية كاملة،ولا يتدخل الكبار بالمنع، أو الأمر، أو النهي، أو العقاب، أو التخويف.وأن يوجهوا الطفل للتمييز بين ما يقع تحت يديه أو أمام بصره، أو سمعه، أو تذوقه، أو شمه،وأن يوجهوه للتمييز بين الأشياء المختلفة،ويحاولوا إدراكها وفهمها.

♦ثانياً: التذكُّر: Recall

التذكُّر عملية عقلية يُمكِّن الطفل من استرجاع الصور الذهنية البصرية والسمعية أو غيرها من الصور الأخرى التي مرّت بالفرد من ماضيه إلي حاضره الراهن،وهكذا تُصبح

عملية التذكُّر ارتباطية لأنَّها تصل الحاضر بالماضي وتُقيم علاقات مختلفة ترقي بالنشاط المعرفي العقلي للفرد.

والتذكُّر بمعناه الضيق يقتصر علي تذكُّر واسترجاع الفرد لتاريخ حياته وما حفل به من تجارب وخبرات ومعلومات،وهو بهذا المعني شخصي ذاتي يعكس دائماً ماضي الفرد.أمَّا التذكُّر بمعناه العام فهو يتسع ليشمل كل الماضي سواء بالنسبة للفرد أو لغيره من الناس،وكذلك الأحداث التاريخية..إلخ.

ويتوقف وصل الماضي بالحاضر بعد مرور فترة زمنية علي مدي وضوح الصور وغموضها، وهذا يخضع للفاصل الزمني.كذلك يتوقف علي ارتباطه بالألوان العاطفية للفرد أثناء مروره بالخبرات الماضية.

إن اتصال الطفل المباشر بالأشياء وبالناس وتفاعُله معهم يمدَّه بذخيرةٍ من الخبرات العملية والشخصية المباشرة،تلك الخبرات التي تجعله يفهم المعاني وتُساعده علي صب هذه المعاني في الألفاظ التي يسمعها من الكبار،فالطفل كثيراً ما يعرف معني الشئ واستخداماته قبل أن يعرف اللفظ الذي يرمز إليه ويدل عليه.وعندما يعرف كيف يُطلق الألفاظ علي الأشياء فإنَّه يسهل عليه تذكُّرها واسترجاعها مع الصور الذهنية لخبراته،ويسهل عليه استخدامها في التفكير والمقارنات والموازنات وإدراك العلاقات بين الأشياء.

◉ كيف نستطيع مساعدة الطفل علي تنمية ذاكرته ؟

تستطيع الأم أن تُساعد علي تنمية ذاكرة الطفل من خلال مواقف الحياة اليومية، كالتالي:

- عند اصطحاب الطفل في زيارةٍ من الزيارات سواء لأحد الأقرباء أو الأصدقاء،أو عند زيارة النادي أو أحد الأماكن،أو المشاركة في المناسبات المختلفة كأعياد الميلاد،أو حفلات الزواج..وغيرها.فيمكن للأم أو الأب أن تسأل طفلها عقب كل زيارة عن كيفية الوصول إلي هذا المكان،وما حدث في هذه الزيارة،ومَنْ قابله فيها،كمَّا يمكنه أن يحكي عمّا أعجبه فيها،أو ما لفت نظره..إلخ،المهم أن تكثر التساؤلات التي تُساعده علي عملية التذكُّر.
- يمكن أن نسأل الطفل بعد زيارته لحديقة الحيوان مثلاً عمَّا رآه فيها،وماذا أعجبه في جبلاية القرود،وماذا كانت تفعل هذه القرود،وهل يعرف أين تعيش؟وماذا تأكل؟وهل انزعج عند سماعه لزئير الأسد مع إنَّه كان محبوساً داخل القفص؟ وكذلك يمكن تسأله عن مجموعة الأفيال التي رآها،والزرافة التي أعجبته..وهكذا.
- وعن طريق ترديد الأغاني الجميلة، والأناشيد الشيقة التي تعلَّمها في المدرسة، أو سمعها عن طريق المذياع، أو التي شاهدها في التلفزيون يكتسب الطفل القدرة علي تذكُّر ما سمعه وقام بترديده.
- وفي البيت عندما تقوم الأم بعمل شئ مُعيَّن (كيكة مثلاً) تسأله:هل يتذكَّر كيف صنعتها في المرَّة السابقة؟ ويمكنها أن تقوم بتجهيز ما يلزم صنعها من:الحليب، والسكر، والدقيق، والزبد، والبيض..وتسأله عمَّا ينقص ذلك؟ وما الذي يجعل رائحة الكيكة زكية؟..بشرط أن تكون الأم متأكدة عند أسئلتها لطفلها أنَّه قد رآها تصنع هذه الأشياء قبل ذلك، حتى يسهل عليه الاسترجاع، ويتمكَّن من تذكُّر الأشياء وطريقة صنعها، خصوصاً الأشياء التي يحبها ويستعذب أكلها.

▪ ويمكن للأم أن تُعطي الطفل صوراً لأشخاص يكون قد رآهم من قبل وتسأله: "مَنْ في هذه الصورة؟". كذلك تعطيه رسوماً لبعض الطيور أو الحيوانات علي أن تكون غير مكتملة (ينقصها جزء مُعيَّن) كالذيل أو الرأس أو المنقار..إلخ،وتسأله عن الشئ الناقص وتعطيه أقلاماً وتطلب منه أن يُكملها..وهكذا تختبر درجة تذكُّره لهذه الأشياء.

إن العادات ،والخبرات ،والمهارات التي يتعلَّمها الطفل ويكتسبها من البيئة التي يعيش بكنفها تترك أثراً يعمل علي استمرار الماضي في الحاضر،فالطفل الذي يتعلَّم جدول الضرب في صِّغره يستطيع أن يتذكَّره ويستعمله في حلِّ أعقد مسائل الرياضيات في المستقبل.كمَّا أن التجارب الجديدة أكثر قدرة علي مساعدة الطفل في التكيُّف الأفضل للمواقف الجديدة.

♦ثالثاً: التفكير:Thinking

التفكير هو سلوك عقلي يستخدم الأفكار،أي الصور الذهنية،والعمليات الرمزية..بمعني أن التفكير تمثُّل ذهني وتأمُّل عقلي؛لأنَّه يتناول الأشياء والأحداث المُتذكَّرة أو المُتخيَّلة بل المتوهمة حتى أثناء غيابها.

والتفكير سلوك يعمل علي الأفكار المُجرَّدة تمثيلية أو رمزية، ويتميَّز بحلِّ المشكلات ذهنياً، وتناول المعاني بطريقةٍ تتجاوز الحاضر أو الموجود من الأفكار والأفعال.

ويتميَّز الإنسان علي الحيوان بالتكفير، لأنَّه:

- أكثر مرونة،وأكثر قدرة علي التكيُّف في المواقف الجديدة في البيئة التي يعيش بكنفها.
- قدرته الفائقة علي تبديل وتعديل سلوكه ،وتعلُّم أنماط جديدة.
- استطاعته أن يستجيب للتنبيهات التي لا وجود لها في الحاضر، فهو يسترجع الماضي، ويتأمَّل الحاضر، ويُخطط للمستقبل، ويستنتج المجهول من المعلوم، ويقيس الغائب علي الشاهد، ويتعلَّم بالخبرة، ويتخيَّل ما لم يحدث، ويتوقع ما سوف يحدث، بل يحلم، ويصمم ويخترع، ويُبدع.

والتفكير علي هذا يعني:التعريف بالطرق التي يحلّ بها الناس مشكلاتهم، وينمون مفاهيم عقلية عن العالم الذي يعيشون فيه.

ومن هذا المنطلق فمن الضروري في عالم سريع التغيُّر أن يُنمي الأفراد قدرتهم علي التوافق مع المواقف الجديدة،وأن تنمو قدرتهم علي التميز، والتفكير الناقد، والابتكار، والإبداع وإصدار الأحكام السليمة.لقد أصبحت القدرة علي التعرُّف علي المشكلات العلمية وعلي حلِّها هدفاً أساسياً من الأهداف التي يجب أن يتربي عليها الأطفال منذ الصِّغر.

☉ كيف ننمي في أطفالنا أنواع التفكير المختلفة ؟

يجب علي الآباء والأمهات والمربين أيضاً أن ينموا في الأطفال الأنواع المختلفة من التفكير حتى يتمكنوا من التوافق مع المواقف الجديدة، وهو ما نورده علي الصفحات التالية:

♦أولاً: تعويد الطفل علي التفكير الغير مقيد:

أي التفكير الواسع الغير متمايز Divergent،وهو عكس التفكير المقيد Convergent الذي يهتم بإيجاد حل واحد أو جواب واحد فقط،ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إشراك الطفل

وتفاعُله مع الآخرين عن طريق الأسئلة المفتوحة الغير مقيدة بإجابة واحدة (نعم أو لا)،بل إجابات فيها تعليلات واستنتاجات..إلخ.وهذا الاتجاه يُساعد الطفل في المستقبل علي حلّ مشكلاته حيث يُساعد علي تلمُّس الدلائل التي تسند تفكيره دون أن يُقيَّد بحلٍ واحد فقط.وتستطيع الأم أو المربية ذلك من خلال قصّ القصص والحكايات التي يُحبَّها الأطفال،وعندما تصل إلي عُقدة القصة يمكن أن تطلب حلاً من الطفل،وأن تُقدِّم هي حلاً آخر،وأن تُفكِّر مع الطفل في حل ثالث..وهكذا .

♦ثانياً: تعويد الطفل علي التفكير المستقل:

لابد أن تُشجع الطفل علي التفكير الغير مقلد أو التفكير التابع،أي التفكير المستقل،وذلك من خلال توجيهه ليعرف إجابات أسئلته من مصادرها،كاصطحابه في رحلة إلي أحضان الطبيعة،أو ارتياد متحف،أو زيارة مكتبة..إلخ،حيث يبحث، ويستقصي، ويختبر، ويُشاهد، ويلمس.. إلي أن يصل إلي إجابات شافية علي أسئلته.وعلي الآباء والأمهات ألاَّ يستعجلوا الطفل مهما طال الزمن،بل ينبغي الصبر عليه حتى وإن ضل الطريق،وأن يتركوه حتى يكتشف الأخطاء التي قد يرتكبها بنفسه؛لأن كل ما نريده هو أن يتعلَّم أساليب التفكير السليم،ويتعلَّم أيضاً كيف تكون له وجهة نظر خاصَّة،وكيف يستطيع الدفاع عنها ،وكيف يستطيع أيضاً أن يتنازل عن وجهة نظره هذه متى أقتنع بأنَّها خاطئة.

♦ثالثاً: تعويد الطفل علي التفكير الاقتصادي:

وهو يُطلق عليه التفكير المختصر،الذي يعني إعطاء تصوُّرات بسيطة عن بعض الحقائق العلمية سواء كانت تتعلَّق بالظواهر الطبيعية المُحيطة بالطفل،أو بالمشكلات الموجودة في بيئته.ويمكن تعويد الطفل علي ذلك منذ صِغره،فعندما تقع لُعبته منه أو تتدحرج تتركه الأم أو المربية ليحاول التقاطها بنفسه،علي أن تُراعي اختصاره للخطوات المُتبعة في التقاطها،وتلفت نظره إن استدعي الأمر لتعوده علي التفكير الموجه عندما تتقدَّم به السن من خلال العمل المختصر في التغلُّب علي مشكلاته.والطفل الذي تدخل إحدى لُعبه في الأخرى أو أن تشتبك قدمه في ملابسه من الأفضل أن تتركه الأم أو المربية يتغلَّب علي مشكلته بنفسه،فإنَّه بلا شك سوف يحاول أن يصل إلي الاستجابة الصحيحة.وهذا الأسلوب سوف يعوده علي الاعتماد علي نفسه والاستقلال في التفكير.علي ألاَّ تتركه يواجه المشكلات التي تفوق إمكاناته وقدراته،أمَّا المشكلات التي في مستوي طاقاته وقدراته تتركه ليقوم بحلِّها بنفسه،علي أن تُراعي إرشاده وتوجيهه إلي اختصار خطوات حل المشكلة قدر المُستطاع.

♦رابعاً: تعويد الطفل علي التفكير الناقد و الأسلوب المنطقي في التفكير:

يمكن أن يتم ذلك من خلال مناقشة الطفل في أبسط المسائل، والأمور، والأشياء التي يهتم بها والتي تقع في مُحيطه،علي أن يُعطي تبريرات لكل ما يقوله أو يفعله سواء كان ذلك صحيحاً أم خاطئاً؛ففي ذلك مجالا لأن يقف الطفل علي أسلوب التفكير الذي يقوم اعلي التمحيص والتفحُّص،من خلال النماذج الأدبية في صورة قصة أو مسرحية أو حكاية.

♦**خامساً: تعويد الطفل علي التفكير الابتكاري:**

لابد من اكتشاف إمكانات الطفل الإبداعية في سِن مبكرة،من خلال ألعاب الطفل الذي يجب أن تشتمل علي مجموعة من: القوالب،والصناديق والمناضد، والأدوات التي تحتاج إلي الفك والتركيب،وإبراز المهارات والقدرات الفنية في الرسم،وكذلك الآلات الموسيقية التي تُمكِّن الطفل من التعبير عن نفسه من خلال عمله الفني والتذوق الجمالي.

وإذا كانت الابتكارية يُقصد بها القدرة علي الإنتاج الممتاز اجتماعياً في مجال الموسيقي، أو الرسم، أو الدراما ،أو النظريات العلمية أو الكشوف..إلخ،أي إنتاج شئ جديد بالنسبة للمجتمع أو بالنسبة للفرد،فإن الآباء والأمهات والمربين يجب أن يُشجعوا الطفل علي التفكير الابتكاري منذ الصِّغر،فلقد أثبتت معظم الدراسات العلمية في هذا المجال، مايلي:

- إنْ آباء المبتكرين كانوا يشجعونهم أثناء طفولتهم علي حلّ المشكلات التي كانوا يواجهونها مُعتمدين علي إمكانات الأبناء الذاتية.
- إنْ هؤلاء الآباء أعطوا أبنائهم حرية اكبر، وعرضوهم لعقاب أقل؛ ممَّا ساعد علي تشكيل أسلوب حياتهم بأنفسهم.
- إنْ مُعلِّمين هؤلاء الأطفال المبتكرين ومُربيهم كانوا يتركونهم يجربون ويحاولون في المعمل للوصول إلي الحلول بأنفسهم،مع تأكيد أهمية إتقان العمل.
- إنْ الآباء والمُعلِّمين قد رسخوا لدي هؤلاء المبتكرين منذ طفولتهم بعض المعايير المهمة،والتي نذكر منها:إن المعرفة قيمة في ذاتها،وإن الحرية في متابعة الاهتمامات والميول أمر حسن ومرغوب فيه،وقد أدي هذا إلي استجابتهم للمواقف بطرق منوعة، واختبار أفكارهم والانتهاء إلي الإنتاج الفريد.
- ممَّا يُساعد علي تنمية الابتكار لدي الأطفال، وضعهم في مواقف غير مألوفة لا تتوافر فيها استجابات جاهزة لمواجهتها.

♦**سادساً: تعويد الطفل ضرورة الاهتمام بأسلوب حلّ المشكلات:**

لو أن الحياة ذات طبيعة ثابتة لما أصبح هناك ضرورة لتعلُّم أسلوب حلّ المشكلات ضرورة مُلِحَّة،وليس هناك بديل عن الخبرة الفعلية في حلِّ المشكلات ،ومواجهة الصعوبات، وارتكاب الأخطاء..وفي النهاية اكتشاف الحلّ الذي يؤدي إلي الفعل الحاسم.والمشكلة دافع جيد للتفكير،وعند وصول الطفل إلي حلِّها تُساعده علي بناء ثقته في قدرته علي تصريف شؤونه بنفسه،ولهذا قيمة مؤكَّدة بالنسبة لصحة الطفل النفسية؛ذلك لأن من المبادئ الأساسية للصحة النفسية وجوب النظر إلي الصعوبات باعتبارها مشكلات يجب حلُّها،وليس باعتبارها مفاجآت وأموراً طارئة يجب تجنُّبها.

ولذلك فعلي الآباء والأمهات أن يتركوا الطفل يواجه مشكلات حقيقية في أحداث حياته اليومية،وان يواجه العوائق التي تحول دون إشباع رغباته ويُفكِّر في وسائل تخطي هذه العوائق ،والوصول إلي الهدف مع مساعدته وتوجيهه للطرق التي توصله إلي الحلِّ الصحيح،ويلتزم الطريق الأمثل في الوصول إلي الحلِّ.

الفصل الثالث

إشباع حاجة الطفل إلي

اكتساب المهارة اللغوية

☯ اللغة مظهر قوي من مظاهر النمو العقلي:

تُعتبر حاجة الطفل إلي اكتساب المهارة اللغوية من الحاجات الرئيسية في مرحلة الطفولة التي تتعلَّق بالنمو العقلي،فقد أثبتت البحوث السيكولوجية الخاصَّة بالنمو العقلي:أنْ التفكير السليم يرتبط ارتباطا وثيقاً بالنمو اللغوي،وبحسن استخدام الطفل للغة في التعبير عن أفكاره؛فاللغة تُسهِّل تكوين المفاهيم الحسية،والمفاهيم المُجرَّدة،وتضع الحدود لتعميمات المثيرات ونتائجها.

وبذلك..فإن اللغة بصورتها اللفظية مظهر قوي من مظاهر النمو العقلي والحاسي والحركي، ووسيلة من وسائل التفكير،والتخيُّل،والتذكُّر،فعلي الرغم من أن الذاكرة تعيش دون لغة،إلاَّ أن اللغة تُيسِّر الذاكرة بدرجة واضحة..وكلَّما كثرت تداعيات كلمة كانت أكثر احتمالاً للتذكُّر حيث أن عدد ونوع التداعيات يتغيَّر مع العُمْر ومع النمو اللغوي.

وبذلك كانت الحاجة إلي اكتساب المهارة اللغوية ذات أهمية بالغة بالنسبة للنمو العقلي.وإذا كانت اللغة مظهراً من مظاهر الثقافة البشرية فإن النمو اللغوي للطفل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة الطفل.والطفل حينما يُعبِّر باللغة إنمَّا يُعبِّر عن مظهر ثقافي خاص بالمجتمع؛وبذلك فإن نمو ثقافة الطفل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنموه اللغوي واكتسابه المهارة اللغوية.

والأطفال في سن سنتين يكونون مهرة في استخدام اللغة،ومعظمهم يحب التحدُّث والكلام أمام الناس،ولو زود الآباء والأمهات والمربين أيضاً أطفالهم بأوقاتٍ يُشاركون فيها بأحاديثهم فإنهم يُتيحون لهم فرصاً طبيعية لاكتساب المهارة اللغوية.

☯ كيف يتم اكتساب اللغة إلي أطفالنا؟

♦أولاً: تدريب الطفل علي الاهتمام بما يُعرض عليه من قصص وأحاديث:

الطفل يميل بطبعه إلي الاستماع للقصص والحكايات،خاصَّة قصص الحيوانات، وقصص البطولة،والقصص التاريخية..إلخ،ولا يخفي علي أحد أن القصة يمكن أن تكون وسيلة من وسائل تربية الطفل وتثقيفه،وأداة تُساعد علي نموه المتكامل،ويمكن من خلالها توريث الطفل خبرة السابقين وعاداتهم وتقاليدهم،وتزويده بثقافة المجتمع الذي يعيش تحت ظله وفي حمايته.

من هذا المنطلق يجب علي الآباء والأمهات أن يستغلوا حب الطفل للاستماع إلي القصص والحكايات التي يجدون فيها لذة ومتعة تُبرِّز السرور علي وجوههم.

وتستطيع الأم أو المربية من خلال سرد القصص علي الطفل أن تعوده علي العمليات العقلية،وان تُثير تفكيره،وتختار له ما يُناسب عُمْره وحاجاته حتى ينجذب إليها ويُركز تفكيره فيما يُلقي عليه من قصص وأحاديث وحكايات،بحيث تستثير تفكيره،فيبدأ في إلقاء الأسئلة،رغبة منه في المناقشة حتى يفهم ويستوعب.

وننوه بضرورة أن تستخدم الأم أو المربية اللغة استخداماً صحيحاً ودقيقاً، وان تكون بمثابة نموذج يُقلده الطفل ويُحاكيه، وتستطيع أن تجعله يحكي القصة لها بعد أن تنتهي منها أو يلخصها لها.

ومن الملاحظ أن سرد القصص علي الأطفال يُزيد من حصيلتهم اللغوية،فقد لوحظ أن الطفل يستعمل عدداً من المفردات في حديثه أقل من المحصول اللغوي الموجود عنده بالفعل،فهو يفهم آلاف الألفاظ أثناء سماعه للقصص أو للحكايات التي يسمعها،ولكنه يستخدم عدداً محدوداً جداً منها،ويبدو ذلك أيضا في أن الطفل قلما يستفسر عن معني كلمة.ولا شك في أن استقبال الأطفال لكلام الكبار وفهمهم له ينضج قبل قدرتهم علي استعمال الكلام والحديث،فهم يفهمون ما يُقال لهم حتى قبل أن ينطقوا اللغة،وقد أثبتت التجارب بالفعل قدرة الطفل المبكرة علي فهم اللغة قبل استعمالها.

•ثانياً: مناقشة الطفل فيما يستمع إليه:

بعد أن تسرد الأم أو المربية علي الطفل بعض القصص التي يكون فيها بعض المواقف الغامضة أو الصعبة،يمكن أن تطلب منه تصوره للحل،أو إعطاء رؤية لحل بعض العقد،ويمكن أن تناقشه في كل حلّ أو رؤية يذكره لها،من حيث المزايا والعيوب..إلخ،المهم:أن الطفل يجب أن يُعطي أكثر من فرصة حتى يصل تفكيره إلي أكثر من حل أو رؤية إذا كان بطل القصة قد استحوذ علي إعجابه وبالتالي انتباهه وبدأ في تقمُّص شخصيته.ومن خلال ذلك تستطيع الأم أن تعود طفلها علي أسلوب تخيُّل الموقف،واستنتاج الحلّ المناسب للمشكلة،ويمكن أن تعوده بعد ذلك علي تعميم استجاباته والمُقارنة بين النتائج..إلخ.كل هذه العمليات أساسية لنمو تفكير الطفل وإكسابه الخبرات البناءة التي تُساعد علي تثقيفه.

•ثالثاً: تعويد الطفل علي الانطلاق في الحديث:

تصطبغ أسئلة الطفل في بدء تعاملهم الحديث والنطق بصبغةٍ انفعالية عاطفية تدور حول رغباتهم،وحول الأوامر التي تصدر منهم وإليهم،وهي تهدف فيما بين عام وثلاثة أعوام إلي معرفة الأشياء التي تُثير انتباههم.وعلي الأم أو المربية أن تُكثر من الحديث مع الطفل حول حاجاته الأساسية والأشياء الخاصَّة به (ملابسه،لُعبه،طعامه،شرابه،أجزاء جسمه..إلخ)،ويمكنها أن تسأله:''ما هذا الشئ''،''ماذا نعمل بهذا الشئ؟''..وذلك لإكسابه حصيلة لغوية واسعة،ويتمَّكن من اكتساب المهارة اللغوية.

وفي سِن ما قبل المدرسة يصبح الأطفال مهرة في استخدام اللغة ومعظمهم يحب التحدُّث أمام الناس؛ولذلك يجب علي الأم أن تزود أطفالها بأوقات يُشاركون فيها بأحاديثهم مع بعضهم البعض.كمَّا يمكن للأم أو المربية أن تترك طفلها يُعبِّر عن نفسه من خلال حديثه اليومي معاً،تتركه يحكي لها ما حدث في روضة الأطفال،وكيف تصرَّف مع زملائه،وما فعلته المربية في حصص الموسيقي أو الألعاب،وما استعمله من أدوات..إلخ.

ويمكن أيضاً استغلال كثرة أسئلة الطفل في المساعدة علي نموه وتعليمه، إذ يأتي الطفل إلي الحياة وكل ما حوله جديد وغريب.وهو في حاجة دائمة إلي معرفة ماهية الأشياء، ولماذا تحدث؟وهل ينتظم حدوثها بهذه الصورة؟..إلي غير ذلك،ومن هنا يكثر الطفل في هذه السِن من الأسئلة:ماهي؟،ولماذا؟،وكيف،وأين؟،وماذا؟ ومن؟،تلك الأسئلة التي تُساعد إجابتها علي تعليم الطفل ونموه..وهنا يجب علي الأم أو المربية ألاَّ تضيق بأسئلة الطفل وتتركه يتحدَّث علي أن تقوم بتصحيح أسلوبه ما أمكن حتى يستطيع أن يُعبِّر عن أفكاره

وتنمو حصيلته اللغوية،وتزداد ثقافته،وتنمو شخصيته،فمن المهم إذاً أن تجيب علي أسئلته بطريقةٍ ذكيةٍ،وبأسلوب علمي دقيق موضوعي بسيط يُناسب مستوي نضج الطفل،وأن تبتعد عن الإجابات الغيبية والمُحبطة التي لا تُساعد علي نمو الطفل بل تُعرقل نموه؛فهذا الانطلاق في الحديث يُساعد علي نموه اللغوي وفي حصيلته وفي التركيبات اللغوية والقدرة علي التعبير.

•رابعاً: تصحيح أخطاء الطفل اللغوية:

علي الأم أو المربية أثناء ترك الطفل ليُعبِّر عن أفكاره، وفي مناقشته عمَّا قطعه وما قام به من أعمال في روضته ومع زملائه،وفي تعبيره عمَّا يُمارسه يجب عليها أن تراعي تعويده منذ بداية كلامه الصياغة اللغوية الصحيحة،وأن تعوده علي استعمال التراكيب النحوية السليمة من خلال صياغة أسئلته،واستفساراته، وتصحيح الأخطاء التي يقع فيها الطفل بهدوء واتزان دون تخويف، أو إرهاب، أو سخرية، أو استهزاء،وألاَّ تكرر أخطاء الطفل اللغوية في ضحك ولعب حتى لا تقوم بتثبيتها عند الطفل،حيث أن تكرار نطق الكلمات الخاطئة التي ينطقها الطفل يُساعد علي تثبيت الخطأ في نطق الطفل،المهم أن تراعي عدم استخدام الأسلوب الطفلي في الحديث مع الطفل حتى لا يثبت عنده لفترةٍ طويلةٍ،ولو نجحت الأم أو المربية في ذلك لكان من السهل علي الطفل بعد ذلك استخدام الكلمات والتعبير الدقيق وسوف يسهل عليه توضيح ما في ذهنه بدقةٍ ومهارةٍ تُساعده علي النمو وتحصيل الثقافة بسهولةٍ ويسر.

•خامسا: الاهتمام بأدب الطفل:

لا يختلف أدب الطفل عن أدب الكبار في جوهره وأداته،ولكنه يختلف عنه من حيث الموضوع الذي يتناوله،والفكرة التي يُعالجها ومستوي الأسلوب وذلك لأن الصِّغار يختلفون ـ فيما يشبع حاجاتهم وينبه إحساسهم ويلاءم مداركهم ـ عن الكبار،بل إن مراحل الطفولة لا يختلف بعضها عن بعض فيما يُقدَّم لها من ألوان الأدب،ومن ثمّ كان من الضروري في أدب الأطفال أن ننتقي مادته بعنايةٍ بحيث يكون في مستوي مناسب من حيث الشكل الفني،ويكون فيها كذلك من الميزات التي تجتذب الناحية الانفعالية عند الأطفال،فيتجاوبون معه ويسعدون بقراءته والاستماع إليه.

ويقوم أدب الأطفال بتنمية ثقافة الطفل ويعمل علي نموه الغوي، من خلال:

- ما يشتمل عليه من معلومات وحقائق تنمي إدراك الطفل،فالمطلع علي أية قصة أو مسرحية أو مقطوعة من الشعر والأناشيد الخاصَّة بالأطفال يجد فيها كثيراً من حقائق الحياة،وما يجري فيها من مشكلات تحتاج إلى حلّ،ويجد كثيراً من الشخصيات التي تسلك وتُعبِّر عن عادات الناس وأعمالهم،وبذلك يُدرك بعضاً من المعارف والحقائق.
- من خلال أدب الأطفال يستطيع الطفل أن يُنمي لغته،فيتزود بكثير من ألفاظ لغته،ويُدرك استخدام التعبيرات،وبذلك يلعب نمو القاموس اللغوي للطفل دوراً مهماً في تكوين المعاني الكلية والمُجرَّدة بوجهٍ خاص ممَّا يمكن الطفل من التعبير عن حاجاته وعن عواطفه نحو الآخرين،وتوسيع نطاق الحياة وكشف مظاهرها المختلفة.

▪ وفي الأدب،شعره ونثره،يتدرب الطفل علي الإلقاء الجيد،وهو من الأمور التي لا يستغني عنها الطفل في حياته المُقبلة،وذلك من خلال المناقشات الأدبية حيث يتدرَّب الطفل علي طلاقة اللسان،وعلي التعُّود علي الإفصاح عمَّا يدور في عقله من أفكار،ويستطيع مواجهة الآخرين في أثناء إلقائه دون خوف أو رهبة.

وعلي الآباء والأمهات والمربين والحالة هذه أن يهتموا بأدب الطفل،وأيضاً بالوسائل المختلفة التي تقدم بها هذه الفنون كمسرح العرائس وغيره.وذلك بأن يعودوا الطفل علي حفظ الشعر والأناشيد منذ صِغره،وأن يعودوه علي قراءة القصة ومعرفة أحداثها منذ نعومة أظفاره وحتى قبل تعلُّمه القراءة والكتابة يمكن من خلال القصص المصورة أن يتتبع الأحداث القصصية؛وبذلك ينمو الطفل وعنده القدرة علي تذوق الأدب القصصي والشعري والمسرحي،ويستطيع أن يُعايش هذا الأدب بقدر الإمكان ممَّا يثري ثقافته ويُنمي لغته ويكسبه الكثير من المهارات اللغوية.